سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ﴾

جُنَّةً: وقاية لأنفسهم وأموالهم.

آمَنُوا: بألسنتهم لا غير.

من علامة نفاق المرء أن يرفع عقيرته بالأقوال والدعاوى الكبيرة، ويحلف بالله تأكيداً على كلامه ليصدقه الآخرون مخدوعين بأيمانه الكذوب . إن الإنسان المخلص يتميز بسمة التواضع والخشوع لسيطرة الخشية الإلهية عليه دائماً .. فهو ينطق بقلبه أكثر مما ينطق بلسانه ، والمنافق إنما يحرص على إيصال صوته إلى مسامع البشر أمثاله وحدهم، بينما يود الإنسان المخلص أن يُسمع صوته الله رب البشر، ولا يتحقق ذلك إلا إذا كان صادراً من قلب نقيٍ وضمير خالصٍ ، وحين يؤمن شخص ما، فإنه يقطع على نفسه عهداً جاداً، ثم تواجهه من بعد ذلك شتى المواقف العملية في الحياة اليومية، حيث يقتضي الأمر أن يعمل وفقاً لعهده ذاك ، والآن، فمن ينصت في مواقف كهذه لنداء ضميره، ويوفي بمقتضيات العهد، يزداد إيمانه قوةً ورسوخاً باستمرارٍ ، وعلى العكس من هذا، فإن من لا يلتفت إلى نداء ضميره حين يناديه بالتزام العهد، ويعمل بخلاف مقتضاه، سيصل به الأمر شيئاً فشيئاً إلى أن يفقد حساسيته مطلقاً إزاء العهد

الذي كان قد قطعه على نفسه يوم نطق بكلمة الإيمان ، وهذا هو معنى الطبع على القلب الذي لا يعود صاحبه بعد ذلك يفقه أوْ يَعي من أمر الحق شيئاً !!

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ ﴾

فَطُبِعَ: ختم بسبب الكفر.

لاَ يَفْقَهُونَ: لا يعرفون حقيقة الإيمان.

خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ: إلى الحائط ، أجسام بلا أحلام.

هُمُ العَدُوُّ: الراسخون في العداوة.

أَنَّى يُؤْفَكُونَ: كيف يصرفون عن الحق ؟.

لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ: عطفوها إعراضا واستهزاء.

المنافق يحافظ على مصالحه بالسير على سياسة الانتهازية والمداهنة في حياته،فهو لا يتعرض أبداً لموضوع الحق والباطل في خلال معاملاته وارتباطاته مع الناس،مما يجعله يلقى الحفاوة والترحيب أينما حل وسار ،وهو يعيش خالي البال من كل هم وغم؛ فيسمن بدنه نتيجة ذلك، بحيث يعود محل الإعجاب لدى الناظرين،وهو إذ يتحدث، يتخير في كل مناسبة من المواضيع والألفاظ والأساليب ما يتفق مع أمزجتهم وميولهم، ولذا يجد الكل في حديثه ما يثير اهتمامه ويستهويه،بيد أن هذه الأشجار الضخمة

المتفرعة الباسقة، على ما يبدو ظاهراً، لا تعدو في الحقيقة أن تكون خشباً جافاً ليس فيها حياة ولا حركة ، وهكذا المنافق يخدع العيون بمظهره الوقور الأنيق وملء إهابه الجبن والخور والبلادة، وتكون مصالح دنياه عنده أكثر أهمية وأجدر بالعناية من كل مصلحة دينية ، وأمثال هذا، رغم كونهم يدّعون الإيمان بأصواتٍ مدويةٍ مجلجلة، ليسوا من المؤمنين في شيءٍ !!

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾

حَتَّى يَنفَضُّوا: كي يتفرقوا عنه ﷺ .

رَّجَعْنَا: من غزوة بني المصطلق.

لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ: الأشد والأقوى يعنون أنفسهم.

الأَذَلَّ: الأضعف والأهون ، يعنون الرسول ﷺ والمؤمنين.

وَلِلَّهِ العِزَّةُ: الغلبة والقهر.

كان المجتمع المدني في عهد الرسول يضم صنفين من المسلمين : مهاجرين وأنصار ، ولقد جاء المهاجرون إلى المدينة بوصفهم مشردين مطرودين تركوا ديارهم وأموالهم في مكة ، فكان سندهم الظاهري الوحيد في هذا المجتمع الجديد هو ما أبداه المسلمون المحليون - الذين عُرفوا بالأنصار - من روح التضامن والسماحة والإيثار ، وبناء على هذا كان عبيد المادة السطحيون ينظرون إلى المهاجرين باحتقارٍ شديدٍ باعتبارهم فئةً ذليلةً لا يقام لها وزن، وبالمقابل كان الأنصار عندهم أصحاب العزة والكرامة ، حتى

بلغت الجرأة والوقاحة بعبد الله بن أبي، زعيم المنافقين، إلى حد أنه استخف بشأن المهاجرين على مسمع من بعض الأنصار قائلاً : ما حقيقة هؤلاء ؟ فلئن أخرجناهم من بلادنا، إنهم لن يجدوا في الأرض مأوى يلجؤون إليه ! إن ألفاظاً كهذه لا يمكن أن يتفوه بها إلا من يجهل حقيقة أن ما في السماوات والأرض كله لله، وأنه تعالى هو وحده يعطي من يشاء وينتزع ممن يشاء ؛ لحكمة دقيقة لا يعلمها إلا هو !!.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١١ ﴾

لاَ تُلْهِكُمْ: لا تشغلكم وتصرفكم.

ذِكْرِ الله: عبادته وطاعته.

لَوْلا أَخَّرْتَنِي: هلا أمهلتني وأخرت أجلي.

إن قضية الآخرة هي القضية الكبرى بالنسبة لكل إنسان في هذا العالم ، غير أن الانشغال في الأموال والأولاد يلهي الإنسان عن هذه القضية الكبرى ، ويجدر بالإنسان أن يدرك -قبل فوات الأوان - أن المال والولد ليسا غاية وجوده، بل إنهما وسيلة فقط، وإنما يتاح لأحد الناس ما يُتاح من ذلك لكي يوظفه في تحقيق مشيئة الله وإنجاز منهجه، وفي سبيل الإعداد لآخرته وتحسين عاقبته الدائمة هناك ، ولكن الجاهل ينظر إلى المال والولد على أنهما الغاية المقصودة ذاتها من هذه الحياة ، وحين ينتهي الجهلة الغافلون المغرورون كهؤلاء إلى المصير النهائي البائس الذي ينتظرهم، فلن يملكوا إزاءه سوى أن يتجرعوا مرارة الندم والحسرة إلى الأبد !